زيارة سمو ولي العهد لأمريكا تستقطب اهتمام المراقبين

الزيارة تدعم العلاقات الثنائية وتخدم القضايا المصيرية

● مركز المعلومات بـ « عكاظ » .

الزيارة التي يقوم بها صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني إلى الولايات المتحدة الامريكية تمثل حدثا سياسيا هاما يحظى باهتمام المراقبين والمحللين السياسيين في المنطقة ، ليس فقط لأهمية العلاقات السعودية ـ الامريكية بالنسبة للبلدين ولتطورات الاحداث بالمنطقة ، وليس فقط لظروف المرحلة التاريخية الهامة التي تمر بها منطقتنا ، ولكن ايضا لشخص الزائر صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز .

فرغم عظم التحديات التي تعيشها منطقتنا .. ورغم التواتر السريع للاحداث .. رغم كل ذلك ينبثق امل جديد في غد افضل ونتائج مشجعة مع كل تحرك جديد لسموه على صعيد تحقيق اهداف سياسة المملكة الخارجية بتوجيهات خادم الحرمين الشريفين .

ان هذا الاهتمام له الكثير من الدواعي .. بالنظر إلى النتائج الكبرى التي تتحقق على يدي سموه في مجال السياسة الخارجية في تحقيق اهداف المصلحة الوطنية والاسلامية والعربية العليا .. وبالنظر إلى الخصائص المتميزة للاسلوب الدبلوماسي الرفيع لسموه وادراكه العميق لخصائص المجتمع الدولي وسبل التعامل معها .. تقريض خصائص المجتمع الدولي المعاصر ، وتواتر احداثه وتطوراتها وتعقيداتها وتداخلها المستمر ، واقعا حسيا امام صانع القرار ، يتطلب التعامل مع هذه التطورات والأحداث بما يلائمها من مواقف في التوقيت المناسب وبالدقة والبراعة المتميزة .

وهي خصائص لم تكن مطلوبة في السابق لدى كل من يتصدى للتعامل مع معطيات الواقع الدولي وتطوراته ، وهي خصائص قلما توافرت الا في النادر من الرجال الذين أناط بهم التاريخ هذه المهمة بالنظر إلى ما حباهم الله به من وضوح في الرؤية وبعد في البصيرة وثبات على المبادىء والمواقف واحاطة مستنيرة بواقع المجتمع المعاصر وتطوراته وكيفية التعامل معه .

واذا كان هذا الأمر صحيحا بالنسبة لجميع الدول فانه اكثر دقة ووضوحا في حالة المملكة العربية السعودية لأكثر من سبب .. سواء بحكم موقعها في هذه المنطقة من العالم والتي أضحت بؤرة لتطورات تاريخية لاتبدأ تؤثر في سائر العلاقات والقوى الدولية .

او بالنظر لمكانة المملكة الروحية لالف مليون مسلم يتزايد تقلهم السياسي والاقتصادي في شبكة العلاقات الدولية يوما بعد يوم في عصر اليقظة الاسلامية التي افضحت احدى متغيرات وسمات العصر الذي يتطلب التعامل الدقيق والواعي في هذا العالم المتلاطم التيارات والأمواج ..

● او بالنظر لمكانة المملكة السياسية الكبرى ليس فقط على الصعيد الاقليمي ولكن ايضا على المستوى العالمي مما يجعل لقراراتها ثقلا وتأثيرا دوليا يتطلب حساسية معينة في صنع قراراتها على الصعيد الدولي .

أو بالنظر لمكانة المملكة الاقتصادية في القلب من دولاب الاقتصاد العالمي ككل ، وبالتالي افضحت مواقفها الاقتصادية وسياستها احد المؤثرات الكبرى على صعيد النظام الاقتصادي العالمي في العقدين الأخيرين من الزمان .

لكل هذه العوامل ، كان على كل من يتصدى لادارة سياسة المملكة الخارجية ان يحوز صفات متميزة ، وقدرات غير عادية سياسية ودبلوماسية ، وصفات شخصية على قدر ما تحتاج هذه المهمة من صفات .

وصاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني يضطلع بدور كبير ـ بتوجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ في ادارة سياسة المملكة الخارجية ، وتحويل اهدافها وغاياتها بما يحقق المصلحة العليا للوطن والأمة العربية والاسلامية وسط هذه المتغيرات الدولية المتلاحقة .

فالنتائج التي تحققت من زيارات سموه الخارجية العديدة ، ومن جهوده على المستوى العربي والدولي تشير إلى نجاح فريد في تحقيق اهداف المملكة وسياستها الخارجية في توطيد علاقات الأخوة بين المملكة وسائر الدول العربية والاسلامية الشقيقة ، وكذلك اقامة علاقات صداقة وطيدة تنهض على اسس التعاون البناء والاحترام المتبادل بين المملكة وسائر الدول والقوى المحبة للسلام ، وكذلك سعي المملكة الدائم إلى التوفيق بين الدول العربية الشقيقة وبعضها البعض وازالة الخلافات بينها ورأب الصدع العربي وتحقيق اجماع عربي حول القضايا المصيرية لشعوبنا .

فعلى سبيل المثال فان زيارة سموه لفرنسا في عام ١٤٠٥هـ قد حققت من النتائج مالقت توقعات المحللين السياسيين رأسا على عقب ، والذين كانوا يتكهنون بآثار محتملة لتولي رئيس الوزراء السابق لوران فابيوس منصبه على العلاقات مع المملكة والدول العربية ، فاذا بالصحف الفرنسية تجمع خلال زيارة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز إلى فرنسا على ان هذه الزيارة قد مثلت دفعة قوية لكل جوانب العلاقات بين فرنسا والمملكة ولدور فرنسا بالنسبة لقضايا منطقة الشرق الاوسط .

وفي زيارة سموه للنمسا في شهر شوال عام ١٤٠٥هـ وصف مستشار النمسا السابق فريد سنوفاتس هذه الزيارة بقوله : « ان زيارة سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز للنمسا تحظى باهتمامنا لانه ضيف كبير قدم من بلد له وزن وثقل عالميان ، كما ان قيادته السياسية تنتهج سياسة تحظى بتقدير الاوساط الدولية وعلى الاخص في المجال الاقتصادي » .

كما علق سفير النمسا لدى المملكة على هذه الزيارة قائلا : « ان زيارة سموه ولي العهد ستعطي دفعة قوية للامام بالنسبة للعلاقات بين البلدين ، فالمباحثات كانت ممتازة للغاية وكان هناك تطابق في وجهات النظر » .

كما عبر عميد السلك الدبلوماسي في فيينا عن أهمية هذه الزيارة قائلا : « ان زيارة سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز للنمسا تأتي في وقت يمر فيه العالم العربي بظروف دقيقة والنمسا بلد يتمتع بتقدير دولي متميز ، وبهذا فه الزيارة من شأنها ان تشكل انطلاقة جديدة في العلاقات ليس فقط بين النمسا والمملكة ولكن ايضا بين النمسا والعالم العربي ككل وذلك لما تتمتع به المملكة من ثقل ومكانة في العالم العربي وفي العالم بأسره ، وبالتالي فهي فرصة لمزيد من توضيح الدعم والتفهم وكذلك توثيق علاقات المودة والتعاون .

اما زيارة سموه لبريطانيا فيعبر عن نتائجها اصدق تعبير ماذكرته الصحافة البريطانية عن هذه الزيارة قائلة : « لقد حققت زيارة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز للندن خطوة متقدمة وواسعة بالنسبة للتفاهم بين الدولتين وابرزت الدور الهام الذي تلعبه المملكة العربية السعودية بالنسبة لمشكلة الشرق الاوسط وسائر مشكلات المنطقة .. كما انها كانت مناسبة ممتازة للاطلاع عن كثب على قضايا الشرق الاوسط وتفهم وجهة النظر السعودية » .

وعلى الصعيد الاسلامي فان زيارة سموه الى باكستان لازالت تعتبر حتى اليوم علامة بارزة في مسيرة العلاقات الاخوية بين الشعبين .

اما على الصعيد العربي فيمكن القول ـ بحق ـ ان صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز في مقدمة الرجال الذين تعلقت بهم انظار الامة العربية في هذه الحقبة من تاريخها ، فما ان تتأزم الامور وتخفق القلوب خوفا من تداعي الاحداث نحو تدهور جديد يصيب كيان الأمة ويضاعف من تمزيق العلاقات بين بعضها والبعض الاخر حتى ينتفض الشباب بتحرك لسموه يقتحم فيه المشكلات التي تجمدت وأزمنت ويحقق فيه ما استطاع من وحدة الصف وتنقية الاجواء ودعم التقارب العربي .

ويطرح هذا النجاح سؤالا كبيرا يطرحه أي مراقب أو محلل يتعرض لهذا النجاح المتتالي في ادارة السياسة الخارجية وهو ، ماهي الامكانات الدبلوماسية والشخصية التي تمكن رجلا قياديا من تحقيق كل هذا النجاح وسط كل هذه العوامل غير المواتية اقليميا ودوليا ؟

اما الاجابة ، فاننا نتلمسها في الخصائص المميزة لدبلوماسية سموه ، ونتلمسها في رؤية سموه لدور المملكة العربية السعودية اسلاميا وعربيا ودوليا واهداف سياستها الخارجية ، ونتلمسها في مدركات سموه لخصائص المجتمع المعاصر وكيفية التعامل معها .

● **اولا : خصائص دبلوماسية لسموه :**

من خلال جهود صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز في تحقيق أهداف السياسة الخارجية للمملكة بتوجيهات خادم الحرمين الشريفين ، يمكن رصد مجموعة من الاسس والمبادىء التي تبلورت لتصبح علامات مميزة لنهجه ودبلوماسيته في تحقيق هذه الاهداف من ذلك :

■■ وضوح المواقف : حيث يتمتع سموه برؤية واضحة ومحددة لكل شئون المنطقة والعالم وابعاد تطور حركتها وتأثيراتها المختلفة ، وبالتالي فإن لدى سموه قدرة متميزة على تحديد مواقف واضحة من كل هذه الاحداث ..

والواقع ان هذا الوضوح في الرؤية والمواقف هو امتداد لسياسة المملكة العربية السعودية الخارجية منذ عهد مؤسسها المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود والتي لاتعرف سوى وجه واحد للتعامل في اطار مواقف ثابتة معلنة وواضحة ..

وهذه الرؤية الواضحة مكنت سموه من تحديد الاهداف والوصول الى تحقيقها من اقرب السبل .. فرغم العقبات والصعاب التي تستجد في طريق جهود المملكة لتوحيد الصف العربي والخروج بالامة من عثرتها الحالية فإن سموه يؤمن بضرورة الاستمرار في هذا الدور النبيل وهو موقن بالوصول الى الاهداف المرجوة في نهاية المطاف . فيقول سموه للوفد الامريكي في لقاء المائدة المستديرة : « ان هناك غيوما في سماء هذه الامة ولكنها سوف تزول وتتبدد وعندها ينتصر الحق وينتصر العدل » .

وفي لقاء سموه مع الادباء والكتاب العرب يؤكد « ان المملكة ستظل مستمرة في جهودها سواء نجحت ام اخفقت واننا في وساطتنا بين اشقائنا العرب ننقل ماهو ايجابي » .

●● ادت اخلاق سموه الرفيعة التي اعترف بها كل من اتيح له التعامل مع سموه عن قرب من القادة والزعماء الى نجاح سموه في اقامة شبكة من الصداقات الوطيدة مع العديد من هؤلاء القادة والمسئولين العرب والمسلمين والاجانب حيث يتمتع سموه بقدرة تدعو الى الاعجاب في تقريب وجهات النظر .

فعلى سبيل المثال ، علق مسئول فرنسي على زيارة سموه لفرنسا بقوله :

« ان زيارة سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز لفرنسا تعبر عن التقدير البالغ الذي نكنه لسموه وللدور البارز الذي يضطلع به في تصريف شئون بلاده وعلى الساحة الدولية ايضا حيث يعترف له عدد كبير من الدبلوماسيين بموهبته كمفاوض قدير ، ويقدرون تعلقه بمبدأ استقرار العلاقات بين البلدان والمناوق » ..

●● **الصراحة** .. على عكس كثير من رجال السياسة في العصر الحديث ، فانه يؤمن بان النجاح الدبلوماسي يرتبط اساسا بالصراحة في كل المواقف فهو لايميل الى تصريحات اعلامية براقة ، ويكرس الود والصداقة فيمقت الزيف ولايقبل الصخب الاعلامي . وفي هذا يقول سموه « ان الصراحة نقطة هامة بالنسبة لزعامات هذه الامة .. ولن تحل اية مشكلة الا اذا تحولنا الى مثل هذه الصراحة والوضوح »

كذلك يقول سموه « عندما يكون الانسان في موقع المسئولية فان كل كلمة يعلنها تحسب عليه ، ونظرا لحساسية الاوضاع التي تمر بها امتنا في المرحلة الراهنة فقد اليت على نفسي الا اتكلم ، فالكلام ليس مهما ولكن الافعال هي الاهم .. والحمد لله فاننا بحكم المسئولية الملقاة على عاتقنا ، نعتقد ان مانقوم به في بلدنا ومانهدف الى تحركاتنا عربيا واسلاميا ودوليا انما يرضي الضمير ويرضي الله سبحانه وتعالى .

ثانيا : الدبلوماسية السعودية لدى سمو ولي العهد :

من خلال اضطلاع سمو ولي العهد بدور كبير في سياسة المملكة الخارجية بتوجيهات خادم الحرمين الشريفين ـ حدد سموه ابعادا واضحة لمفهوم دور المملكة واسس سياستها الخارجية وسبل تحقيق اهدافها من ذلك .

●● **الواقعية** : حيث يتميز اسلوب سموه في مجال السياسة الخارجية بقدر وفير من الواقعية ، فلامجال لديه للمجاملة اذا تعلق الامر بالحقوق والمقدسات والسيادة .

يعلن سموه امام الوفد الامريكي في اجتماعات المائدة المستديرة في شهر ربيع الثاني ١٤٠٤ هـ لأافهم الدور الذي تلعبه قوات المشاة البحرية الامريكية في لبنان .. فلو جاءت هذه القوات الامريكية لرد المعتدي ومعقبته واجباره على الانسحاب لكان مجيء هذه الاساطيل والقوى قد قوبل بالترحاب .

ثم اعلن سموه استنكاره لتوقيع اتفاق التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل . واعلن صراحة ان اهداف هذا الاتفاق « ضد مصالح الامة العربية » .

ويؤمن سموه ـ كما تؤمن السياسة السعودية الخارجية بشمولها ـ بانه قد ضاع وقت طويل في تصور الحلول للقضايا العربية والاسلامية التي تقفز فوق الممكن لتطلب المستحيل ، فالثابت حتى الان والى كل وقت ان حل القضية الفلسطينية وحل القضية اللبنانية وحل النزاع العراقي الايراني لن يتحقق في اطار المملكة العربي الممكن او الاسلامي او الاقليمي فحسب ولكن ايضا في اطار المملكة الممكن دوليا .

وقد يكون ـ وغالبا مايكون ـ الممكن العربي مستحيلا دوليا ومن ثم وجب ترويض المستحيل وتطويع الممكن حتى لانصطدم بالمستحيلات .

●● **يؤمن سموه** ان للمملكة العربية السعودية دورا روحيا انسانيا لايتأثر بتغيرات المعطيات الاقتصادية الدولية وفي ذلك يقول سموه في حديث الى احدى المجلات الفرنسية في ٣ / ٥ / ١٤٠٥ هـ .

ان البترول في السبعينيات كان نجم الصحافة العالمية . وان دوره قد طرأ عليه تعديل ، لكن المملكة العربية السعودية لم تتبدل جوهرا ولم تتبدل نهجا ، ولذلك تراني أؤمن بان دورها دور انساني قبل ان يكون دورا اقتصاديا او سياسيا .. اننا في المملكة العربية السعودية نعلم حق العلم باننا نعيش في عالم مادي الذرائعية .. عالم يهبط بالكائن الى مرتبة الشيء .. انه يعرف كل شيء ويجعل قيمة اي شيء حيث يجعل من ميزان المدفوعات ميزانا للقيم ولكن نظرتنا الى قيم الحياة العقلية حيث نرى العطاء هو افضل وسائل الربح .

●● يرى سموه ان اسس علاقات المملكة الخارجية هي الندية والاحترام المتبادل والتعاون المشترك لمصلحة الجميع وان اسلوب الحوار البناء والصراحة المتبادلة هو افضل الاساليب لتحقيق ذلك .

فعندما سئل سموه في حديث لصحيفة « السياسة » الكويتية في ٧ / ٦ / ١٤٠٣ هـ عما يتردد على لسان بعض المحللين عن وصف سموه بانه « صقر السياسة السعودية » يعني المعارض خاصة بالنسبة للسياسة الامريكية ؟

اجاب سموه قائلا :

« الكلام كثير والتحليلات تملأ سماء العالم كله ، وانا اقول دائما ان من يريد ان يتعامل مع بلدي بندية متعادلة فانا احترم علاقتي معه ، كرامة وطني لامساس بها ، المصالح متبادلة المهم ان تكون متعادلة ، في قناعتي ان العالم وجد ليتعاون متكاملا وضمن هذا الاطار كل شيء مقبول » .

وفي تصريح لجريدة « عكاظ » في عام ١٤٠٣ يقول سموه : « ان المملكة انطلاقا من انفتاحها على المجتمع الدولي فانها لاترى اي مانع من التحاور مع اي طرف في اطار الجهد العربي المشترك ، لكنها لاترى ـ في الوقت نفسه ـ اي بأس في دراسة اي مشروع تعاون في المستقبل مع اية دولة اخرى .. اذا توافرت القناعة بان هذا التعاون سيخدم الامتين العربية والاسلامية ويأخذ في الاعتبار حقوقها وسيادتها وثرواتها بالدرجة الاولى » .

ثالثا : خصائص النظام الدولي المعاصر وسبل التعامل معه :

يعبر ادراك صاحب السمو الملكي الامير عبدالله بن عبدالعزيز لخصائص المجتمع والنظام الدولي المعاصر واسس العلاقات والمتغيرات التي تحكمه ، عن رؤية شاملة ودقيقة لكل ابعاد العلاقات بين الدول والقوى المختلفة في العالم المعاصر ، مماساعد على فهم سبل التعامل السليم مع هذا العالم .

اما خصائص هذا الادراك لدى سموه فاهمها :

١ ـ ان العالم المعاصر في معظمه عالم مادي ، تحكمه المصالح المتبادلة ويجب ان يتم التعامل معه بعد ادراك هذه الحقائق .. وفي ذلك يقول سموه :

« اننا نعيش في عالم مادي الذرائعية .. عالم يهبط بالكائن الحي الى مرتبة الشيء .. عالم يجعل من ميزان المدفوعات ميزانا للقيم » .

ويرى سموه ان ادراك هذا الامر شيء ضروري لذلك يقول سموه : ان من الاولى بالعرب ان يخاطبوا العالم الغربي بنفس لغته

●● كما يرى سموه ان العلاقات بين الدول الصغرى والدول الكبرى يجب ان تخضع لهذه الحسابات ايضا وفي ذلك يقول سموه :

« الدول الكبرى لن تعطينا اكثر مما تستفيد منا هذه حقيقة .. الدول الكبرى لها حسابات ونحن يجب ان يكون لنا حساباتنا .. بالطبع لسنا بمقام القوة مع تلك الدول ولكن لنا اعتزازنا بالاستقلال الوطني » .

●● كذلك يرى سموه ان التوازن الدولي هو شرط ضروري لسلام العالم واستقراره وفي ذلك يقول سموه في حديثه في بلدية باريس في ١٩ / ٥ / ١٤٠٥ هـ .

« ان التوازن الدولي لا التحييد ـ هو الشرط الاساسي لسلام العالم واستقرار مجتمعاته ورخاء شعوبه . على ان التعاون على تأمين ذلك التوازن مشروط بالحرية .

●● يرى سموه ان احترام القوانين والمواثيق الدولية امر ضروري بالنسبة لجميع دول المجتمع الدولي ، وان ذلك هوالطريق الكفيل بالقضاء على مشكلات الارهاب التي تهدد المجتمع المعاصر .. وفي ذلك يقول سموه :

« ان الارهاب قد اصبح اليوم مشكلة المشاكل بالنسبة للمجتمع الدولي . فهو لايهدد فقط بتعطيل المؤسسات القانونية ، بل يهدد قبل ذلك بانهيار القانون بالذات والعودة الى الغاب وشريعته ، ولا ارى للارهاب الدولي من علاج سوى احترام جميع الدول لميثاق الامم المتحدة واحترامها للقوانين والاعراف السائدة في بلادها .

رابعا : اسس العلاقات السعودية ـ الامريكية كما يراها سمو ولي العهد

تمثل كل العوامل السابقة اسبابا كافية لدى المحللين والمراقبين الذين يتطلعون باهتمام بالغ الى نتائج زيارة صاحب السمو الملكي الامير عبدالله بن عبدالعزيز الى الولايات المتحدة ، ونظرا لاهمية هذه العلاقات بالنسبة للطرفين بحكم دورهما العالمي والاقليمي الكبير .. فان لصاحب السمو الملكي الامير عبدالله بن عبدالعزيز رؤيته المحددة ، ازاء اسس وجوانب هذه العلاقات انطلاقا من الاسس والمبادىء الثابتة للسياسة الخارجية السعودية .

●● يرى سموه ان على العرب مهمة كبرى في توضيح عدالة قضاياهم امام الشعب الامريكي وان هذا الامر له دور كبير في تحقيق التوازن في السياسة الامريكية ازاء قضايا الصراع العربي الاسرائيلي .. وفي ذلك يقول سموه .. « لاشك ان تململا في الراى العام الامريكي عن مبالغة اللوبي الصهيوني في ممارسة نفوذه في تحديد وتوجيه السياسة الخارجية الامريكية وان هناك فرصة يجب الا تفوتنا لتوسيع معرفة الامة الامريكية لعدالة قضايانا وتبصيرها بمصالحها الخاصة بمنطقتنا ودفعها الى الموازنة بين مصالحها وبين البقاء اسيرة لاسرائيل وانصارها .

●● يؤمن سموه بأن على الولايات المتحدة خاصة والدول الكبرى عامة مهمة كبيرة في تحقيق السلام في هذه المنطقة على اسس عادلة .. وفي ذلك يقول سموه :

« ان هناك مؤشرات مشجعة تستطيع الولايات المتحدة وسائر الدول الكبرى ان تدعمها عن طريق الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني الكاملة وتأكيد الرغبة في ابعاد المنطقة عن بؤرة الخطر ومساعدة شعوبها على ان تتعايش في امن وسلام دائمين » .

●● يرى سموه ان العلاقات القوية بين المملكة والولايات المتحدة الامريكية لاتحول على الاطلاق دون انتقاد تأييدها لاسرائيل وان عمق هذه العلاقات يجب ان يكون فرصة لمطالبة الولايات المتحدة بمزيد من التوازن في سياستها ازاء قضايا المنطقة .

سمو الامير عبدالله والملك خوان كارلوس عاهل اسبانيا في زيارة سابقة لسموه لمدريد

سموه يتميز بالصراحة والوضوح والوعي

بخصائص المجتمع المعاصر

جهد متميز لسموه في خدمة الامتين العربية والاسلامية

صاحب السمو الملكي الامير عبدالله بن عبدالعزيز